سقط عظيم

قلما شعر لبنان ، عبر تاريخه الطويل وما توالى عليه من رزايا ، بنفس كبير المرور خير مثله امس ، اذ نعى الداعي واحداً [illegible] الافذاذ ، ولوائياً عالي الراية في طليعة الخالدين ، وبناء طالما الف البناء ان يشمخ تيهاً و كبراً تحت عينه ويده : عنينا العظيم الذي غاب عن وجه الانسانية وبلاد الارز المرحوم ميشال شيحا .

*

سقط في ساح النضال كما يسقط ابطال الفروسية البكر .

سقط وقد عجز القلب الكبير عن حمل مطامح نفس قليل اعبائها باهظ على مجموعة من النفوس الكبيرة .

سقط والقلم الجبار بين انامله ، في نصرة المثل العليا ، اشراقات الهدي لحسني النية ، وايماضات حد السيف على جباه اعداء الخير والحق والجمال.

سقط وملء خياله صورة واحدة هي صورة لبنان ، وعلى شفتيه تمتمات صلاة واحدة ، هي الصلاة من اجل ان يبقى لبنان لبنان

سقط اذ كانت قلوب اللبنانيين تذوب تلهفاً في تضرعها وابتهالها الى السماء لترفق بالوطن عن طريق الرفق بحامل العلم الاعلى والازهى .

وكان هذا الفراغ البارد ، الرهيب ، لا يملأه الا ميشال شيحا

وخلا منبر المعلم الذي قلما طابت كلمة النفاذ على لسان مثلها على لسانه وفيض بيانه ،

واغلق الباب على يتم في الوطنية والعلم والفكر والادب والسياسة والتوجيه هيهات ان تلقى اباً لها كالاب الذي فقدت ،

وشعرنا بان عموداً من اعمدة المجد في بعلبك قد انهار ، وان احدى الارزات الالفية قد ماتت فيها الحياة ، وان كبرى ركائز العز قدهوت الى الحضيض ، وان صباح نهار امس كان امتداداً لليل قاسي الظلمة والوحشة

*

كان ميشال شيحا قمة في دنيا القيم وكان قيمة تتضاءل دون روعتها القمم .

كان عظيماً من اي النواحي نظرت اليه :

ففي آفاق الفكر كان كوكباً لا ينتهي اشعاعه الا في اللانهايات التي يقف فيها وعندها الفكر الانساني ،

وفي دروب الادب والشعر والصحافة كان واحة ندية الظلال ، كريمة الجنى ، وقبساً يؤتم بضوئه في حالتي اقبال وادبار ،

وفي مجالات الاقتصاد والاجتماع كان مرجعنا الاول والاصدق ومفخرتنا الفريدة يوم نعود الى المراجع ويباهينا الآخرون بالمفاخر ،

وفي نطاق السياسة كان احد قلائل الهداة يكرزون بالوطنية والاخلاص والارشاد الصادق ساعة يكون الآخرون جادين في رفع « امجادهم » على تثعلب ودجل ونفاق وسوء استغلال ،

وفي عالم الاخلاق كان نهجاً شريفاً ، وصيتاً حميداً ، ورأس مال يرجح كفة الفضيلة ،

- البقية في الصفحة الرابعة -

« العمل »

(تتمة) سقط عظيم

كان دنيا قائمة بذاتها ، وكل ما فيها نبيل وعظيم ونافع وجميل .

وبهذه العناوين الوضاءة طبع عصره وزمنه بطابع العنفوان الذي طبعت به عصور عزنا التليد وازمان حياتنا التي اخصبت الحياة .

*

اي فقيدنا الغالي العظيم ،

رددت على لبنان كل ما اعطاك لبنان ،

ووفيت قسط جيل بل اجيال ، لا قسط فرد احد ،

وبنيت لنا من قباب الاعتزاز ما ندل به على دنيوات وعوالم ،

ففي الاسود من ايام تاريخنا يبقى يوم نعيك ،

ولئن بكاك اللبنانيون اليوم وفي كل يوم يطلبونك فيه فلا يجدونك فمن حقهم ، بل من واجبهم ان يبكوا : فلكل منهم نصيب مما اعطيت واسديت ، وفي صدر كل منهم هذا المصاب الفادح بك .

ففي ذمة الله ولبنان انت .

وليكن من دموع الصبايا ري لثراك الطهور .

وعزاؤنا وعزاؤك ان تعاليمك لن تموت !

30/12/1954